مخطوطة نادرة

لكتاب قديم في منازل «مكـــة»

الشيخ محمد حسن آل ياسين

عثرت في المكتبة الرضوية بمدينة «مشهد» الايرانية عـلى مخطوط نفيس قيم يعنى بالحديث عن مكة المكرمة والطرق الموصلة اليها من جهـة المدينة المنورة والكوفة والبصرة وسائر الحواضر الاسلامية المشهورة يومذاك؛ مع تتبع بالغ ووصف دقيق لما تضمنته تلك الطرق من بواد وقفار؛ وبرك وآبار؛ وأبنية وقصور؛ وأميال وآثار؛ وزروع وعلامات بريد، بحيث لـم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها. وبهذا كان الكتاب مثيرا للاعجاب جالبا للاهتمام قمينا بالبحث والدراسة والنشر.

وأهم ما يبعث على الأسف عند مطالعة هذه النسخة نقصانها من أولها بمقدار لا نستطيع تحديده؛ وان كان نزرا يسيرا على الأكثر، ولكنه ـ على قلته المحتملة ـ أفقدنا اسم هذا العالم الجغرافي المحقق فبقي مجهولا خلال هذه الأعوام المتمادية التي مرت على الكتاب وهو ناقص مبتور.

ثم أشكل الامر ثانية بواسطة المجلد الذي قدم وأخس بعض الاوراق أثناء التجليد فتداخل فيه الحديث عن هذا المكان بالحديث عن ذاك؛ فالتبست بعض مطالبه على أكثر مطالعيه.

والنسخة التي نحن بصددها قديمة النسخ كثيرة التصحيف والتحريف قليلة النقط، تتألف من ١١٦ ورقة بحجم ٢٣ × ١٨ سم، ورقمها العام في المكتبة ٥٧٥١، والواقف لها علامة عصره الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، وفي أولها ختم بأسم «حسن بن علي بن عبد العالي» مؤرخ سنة ٩٥٧ هـ.

أما آخر الكتاب فتام، وجاء في ختامه ما نصه:

«تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه، والحمد لله حق حمـــده، وصلواته على خير خلقه سـيدنا محمـــد النبي وعترته الطاهرين وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

ثم ورد في ذيل الصفحة الاخيرة ما لفظه :

« من عواري الزمن على يد أضعف عباد الله .... في تاريخ غرة محرم الحرام سنة ٨٩٩ » وقد اعتدت يد جاهلة على هذا التملك فحكت اسم المالك فلم نعرفه .

وبالنظر الى أهمية موضوع الكتاب ونفاسة معلوماته فقد بذلت جهدا كبيرا في سبيل معرفة مؤلفه وفي تنظيم أوراقه حسب تسلسلها الواقعي ، فانكشف الغطاء ، واتضحت الحقيقة ، والحمد لله رب العالمين .

★

ان اول حقيقة تسوقنا اليها روايات الكتاب ان مؤلفه من رجال القرن الثالث الهجري ؛ لان كل الرواة الذين يروي عنهم المؤلف هم من أعلام هذا القرن ومشاهيره ، ونذكر في ادناه طائفة منهم على سبيل التمثيل :

١ ــ أحمد بن اسماعيل السهمي المدني ، ابو حذافة ، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٩هـ .

٢ ــ أحمد بن عبدالجبار العطاردي الكوفي ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٢هـ .

٣ ــ أحمد بن منصور بن سيار الرمادي ، ابو بكر ، المتوفى ببغداد سنة ٢٦٥هـ .

٤ ــ جعفر بن محمد بن شاكر الصايغ ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٩هـ .

٥ ــ الحرث بن محمد بن أبي اسامة التميمي البغدادي ، أبو محمد ، المتوفى ببغداد سنة ٢٨٢هـ .

٦ ــ الحسن بن مكرم بن حسان ، أبو علي ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٤هـ .

٧ ــ عبدالله بن عمرو بن عبدالرحمن بن بشر بن هلال ، أبو محمد الأنصاري الوراق البلخي ، المعروف بابن أبي سعد ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٤هـ . ويعبر عنه المؤلف تارة بـ « عبدالله بن عمرو » وتارة بـ « عبدالله بن أبي سعد » وأخرى بـ « أبي محمد الوراق » .

٨ ــ عبدالملك بن محمد الرقاشي البصري ، ابو قلابة ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٦هـ .

٩ ــ محمد بن الجهم بن هارون السمري الكاتب النحوي ، أبو عبدالله ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٧هـ .

١٠ ــ محمد بن خلف بن عبدالسلام الأعور المروزي ، أبو عبدالله ، المتوفى ببغداد سنة ٢٨١هـ .

١١ ــ محمد بن عبدالله بن المبارك المخرمي الحافظ ، أبو جعفر ، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٤هـ .

١٢ــ محمد بن عبدالملك بن زنجويه البغدادي ، أبو بكر ، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٨هـ ٠

١٣ــ محمد بن علي بن حمزة العلوي ، المتوفى سنة ٢٨٧هـ ٠

١٤ ــ محمد بن يزيد المبرد الثمالي ، المتوفى ببغداد سنة ٢٨٥هـ ٠

١٥ــ يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبدالله العلوي ، ابو الحسين ، المتوفى سنة ٢٧٧هـ(١)٠

وهكذا يتضح من معرفة حال المذكورين في أعلاه ان الراوي عنهم من رجال المائة الثالثة بلا شك ، وانه ممن سكن بغداد فترة غير قصيرة ، استطاع خلالها أن يحضر مجالس عدد كبير من المحدثين والرواة فيتحدث معهم ويروي عنهم ٠

أما تعيين اسم المؤلف فقد بقي عندي مجهولا الى حين ، وعلى الرغم من ان صديقي الباحث الدكتور حسين علي محفوظ قد افترضه ابن الكوفي (٢٥٤ــ٣٤٨هـ) ورجح نسبة المخطوط اليه(٢) ، فاني لم أقتنع بذلك بل كنت قاطعا بأنه غيره ، لان مؤلف المخطوط يروي عن أشخاص لم يكن باستطاعة ابن الكوفي الرواية عنهم مشافهة كمحمد بن عبدالله المخرمي المتوفى سنة ولادة ابن الكوفي ٢٥٤هـ ومحمد بن عبدالملك بن زنجويه المتوفى سنة ٢٥٨هـ أي بعد ولادة ابن الكوفي بأربعة أعوام وأحمد بن اسماعيل السهمي المتوفى بعد ولادة ابن الكوفي بخمسة أعوام ٢٥٩هـ ٠

ثم اطلعت في أثناء كتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » للسمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ على نقول عن كتاب ــ لم يسمه ــ يعنى بذكر منازل مكة والطرق الموصلة اليها والمناسك التي ينتفع بها الحاج ، وذكر السمهودي ان هذا الكتاب تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد الأسدي(٣) ، كما ذكر ان هذا المؤلف من المتقدمين(٤) ، ويؤخذ من كلامه انه كان في المائة الثالثة(٥) ٠ فرجح في ظني أن يكون هذا الأسدي ضالتي المنشودة وأن يكون المخطوط ــ موضوع البحث ــ هو كتابه الذي ينقل عنه السمهودي ٠

وبعد القيام بمقارنة النصوص التي وردت في « وفاء الوفا » منقولة عن كتاب الأسدي(٦) بما تضمنه المخطوط كانت النتيجة المؤكدة ان هذا المخطوط للأسدي ، وانه هو كتابه الذي كان يقطع كثير من الباحثين بفقدانه وضياعه ٠

والمستفاد من الكتب العربية الباحثة في الشؤون البلدانية ــ على كثرتها ووفرتها وفي طليعتها معجم البلدان ــ ان كتاب الأسدي كان نادر النسخة على مر القرون فلم يره هؤلاء المؤلفون ولم يطلعوا عليه ، ولذلك لم يذكروه ولم يشيروا اليه ، بل ربما يخيل لي ان النسخة التي وقف عليها السمهودي ونقل عنها هي بعينها هذه النسخة الفريدة الباقية الى اليوم ، من دون أن يكون لها ــ في الأمس واليوم ــ أخت ثانية في الدنيا مطلقا ٠

كذلك يستفاد من المصادر الضخمة الكثيرة التي عنيت بالتاريخ والتراجم ان أبا عبد الله الأسدي رجل مجهول الحال خامل الذكر غير معروف لأحد، ولذلك لم يذكر ولم يترجم على الرغم من علمه وفضله وسعة اطلاعه وغزارة معلوماته .

وعلى أي حال ، فهذا هو الأسدي وكتابه على وجه القطع واليقين ، وأرجو أن أوفق في الأعداد القادمة الى نشر النصوص التي وردت في مخطوطنا هذا وورد مثلها في نقول السمهودي عنه لتتجلى الحقيقة أكثر وأكثر ، فالى اللقاء ان شاء الله .



(١) إعتمدنا في ضبط أسماء هؤلاء الرواة وتعيين تواريخ وفاتهم على انباه الرواة وتاريخ بغداد وشذرات الذهب واللباب ووفاء الوفا .

(٢) مجلة كلية الآداب العراقية : ١٩/٣ ـ بغداد ١٩٦١م ـ .

(٣) وفاء الوفا : ٦٨/١ ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ـ ١٣٢٦هـ ـ

(٤) وفاء الوفا : ٥٤/٢ و٢٩٨ .

(٥) نفس المصدر : ١٦٤/٢ .

(٦) ساعدني كثيرا على ذلك مقال الدكتور صالح احمد العلي « المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز » المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي : ١١٨/١١ـ١٥٧ .